عَقِيدَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ



أَهَمِيّةُ تَعَلُّم عِلْمِ الدِّينِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلّى الله على رسول الله وسلَّم وعلى آله وأصحابه الطيبين وبعد.

فقد قال الله تعالى : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ [سورة التحريم آية 6]. وقد جاء في تَفسيرِ هذه الآية أنَّ وِقَايَةَ النَّفسِ والأهلِ من عَذابِ النّار تكونُ بِتَعَلُّمِ علوم الدين. وأهمُّ هذه العلوم هو عِلمُ التوحيد لأنّه يتعلَّقُ بِمعرفة الله ورسوله.

اعلم أنه يجب على كل مكلّف أن يتعلم من علم الدين قدرًا لا يستغني عنه كل فرد من المكلّفين، وهو ينقسم إلى علم العقيدة وعلم الأحكام.

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾. وقال رسول الله ﷺ : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ » رواه البيهقي.

فمِن الواجبِ على المكلَّفِ معرفتُه واعتقادهُ من أمور العقيدة: الإيمان بالله وبما جاءِ عن الله، والإيمان برسول الله وبما جاء عن رسول الله، كمعرفة الشهادتين وصفات الله الواجبِ معرفتها وتنزيهه تعالى عمّا لا يليق به ونحوِ ذلك، وتصديق الرسول محمد بكل ما جاء به عن الله من أخبار الأمم السابقة والأشياء التي تحصل

في البرزخ ويوم القيامة أو تحليل شيء أو تحريمه ونحو ذلك، ومعرفة الأشياء التي تُخرِجُ من الإسلام كأنواع الكفر كي يجتنبه.

ومن الواجب معرفته من الأحكام : معرفة أحكام الصلاة من شروط وأركان ومبطلات والطهارة ونحو ذلك. وهذه الأمور لا تُؤخَذُ بالمطالعة من الكُتب، لأنه قد يكون في هذه الكتب التي يُطالعها الشخص دسٌّ وافتراء على الدين، أو قد يفهم منها أشياء على خلاف ما هي عليه عند السلف والخلف على ما تناقلوه جيلٌ عن جيل من الأمّة فيؤدي عبادة فاسدة، أو يقع في تشبيه الله بخلقه والتمثيل والكفر والضلال. وعلى كلّ فليس ذلك سبيل التعلّم الذي نَهَجَه السلف والخلف، قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي أحد كبار المحدّثين: « **لا يؤخذ العلم إلا من أفواه العلماء** ».

إذًا لا بدّ من تعلّم أمور الدين من عارف ثقة يكون أخذ عن ثقة وهكذا إلى الصحابة، وقال رسول الله ﷺ: « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، إنما العلم بالتعلّم والفقه بالتفقُّهِ** »[1].

وروى مسلم عن ابن سيرين أنه قال: « **إنَّ هذا العلمَ دينٌ فانظروا عمّن تأخذون دينكم** »[2]. ولو سُمِع من عالم كلامٌ مخالفٌ للشرع فعلى السامع أن ينبهه عن خطئه إن كان تنبيهُه لا يَجرّ إلى مفسدة أعظم فقد قال الله تبارك وتعالى:

---

1 أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل.

2 صحيح مسلم: المقدمة: باب بيان أن الإسناد من الدين، وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات ، وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذبّ عن الشريعة المكرمة.

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ [سورة آل عمران آية 110]، فقد مدح الله تبارك وتعالى أمة النبي محمد ﷺ بهذه الصفة. وإنَّ العالمَ التقيَّ الناصحَ للناسِ الشفيقَ على دينه الوَرِعَ الذي يخاف الله إذا أخطأ فبُيّن له خطؤه ولو أمام جمع من الناس يعود عنه ويبيّن للناس ذلك.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء ما نصه: "واستماع العلم النافع في دينه ودنياه وفي الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل من الصلوات، (فقد روى أبو ذر) جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « إنَّ حُضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة » (أيْ مِنَ النَّوافِلِ) وفي خبر ءاخر: « لَأَنْ يَتعَلَّمَ أَحَدُكُمْ بَابًا مِنَ العِلْمِ أَو يُعَلِّمَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ صَلاةِ أَلْفِ رَكْعَةٍ » قيل: يا رسول الله ومن قراءة القرءان أيضًا ؟ قال: « وهَلْ يَنْفَعُ قِرَاءَةُ القُرْءانِ إلّا بِعِلْم »".

ثمّ إنَّ أفضلَ الأعمالِ كما قال رَسولُ الله ﷺ : « أفضلُ الأعمالِ إيمانٌ باللهِ ورَسولهِ » رواه البخاري. والإيمان شرط لقبول الأعمال الصّالحة، قال الله تعالى: ﴿ مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية 18]. وقال رَسولُ الله ﷺ: « وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتّى إِذا أَفْضَى إِلى الآخِرَةِ لَم يَكُنْ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ ». وقال الإمام أبو حنيفة رَضيَ الله عنه: « لاَ يَكون إسلامٌ بلا إيمانٍ ولاَ إيمانٌ بلا إسلامٍ فهُما كالظّهرِ مع البَطنِ ». وقال رَسولُ الله ﷺ: « الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائَكتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » رواه البخاري ومسلم. وقال النَّبيُّ ﷺ :

« **وَاللهِ إِنِّي لأعْلَمُكُمْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ** » رواه أحمد في مسنده، فقدْ خصَّ النَّبيُّ ﷺ نفسَهُ بالتَّرقِي في هذا العِلمِ أيِ العِلْمِ باللهِ تعالى وصفاتِهِ لأنهُ أَجَلُّ العُلومِ وأعْلاها وأوجَبَها وأوْلاها.

اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ

يجب الإيمان بالله وهو إثبات وجوده تعالى على ما يليق به وأنّه خالق العالم، فهو خالق الأجسام الكثيفة كالإنسان والسّماوات والأرض والأجسام اللّطيفة كالنّور والظّلام والرّوح والملائكة وهو خالق صفات الأجسام كذلك كالحركة والسّكون والرّوائح والطّعوم والنّوايا والخواطِر. والله لا يشبه شىء من خلقه فلا يشبه الأجسام الكثيفة ولا الأجسام اللّطيفة ولا يوصف بصفات الأجسام فلا يوصف بالحركة والسّكون والجهة والمكان واللّون والتّغير والانفعال والاستقرار والجلوس. أما رفع الأيدي إلى السّماء فلأنّها قبلة الدّعاء ومهبط الرّحمات، فالله موجود قبل السّماء والعرْش وقَبْلَ جميع المخلوقات فلا يسكن السّماء ولاَ العرشَ ولَيْسَ في كلّ مكان بل **هو مَوْجُودٌ بِلاَ كَيْفٍ وَلاَ مَكَان ولاَ يجري عليه زمان.** قال رسولُ الله ﷺ : « **كَانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شَىءٌ غَيرُهُ** » [رواه البخاري] وقال الشيخ فخر الدين بن عساكر (ت620 هـ) : « **موجودٌ قبل الخلقِ، ليس له قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يَمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ. ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كان ولا مكان، كوَّنَ الأكوانَ ودبَّر الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكان، ولا يشغلُهُ شأنٌ عن شأن، ولا يلحقُهُ وهمٌ، ولا**

يكتَنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذهنِ، ولا يتمثلُ في النفسِ، ولا يتصورُ في الوهمِ، ولا يتكيَّفُ في العقلِ، لا تَلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، (لَيْسَ كَمِثلِهِ شَىءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) ».

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت آية 6] أي أنّ اللهَ تعالى مستغنٍ عن كل ما سواه أزلاً وأبداً فلا يحتاج تعالى إلى جهةٍ ولا إلى مكانٍ يقوم به أو شيءٍ يَحُلّ به، ولا يحتاج تعالى إلى مُخصّصٍ له بالوجود لأنَّ الاحتياج ينافي الألوهيّة، والله سبحانه وتعالى هو الإلهُ الذي أوجد هذا العالم كلَّهُ، والعالمُ كلُّه بحاجَة إلى الله تعالى ليحفظ عليه وجودَه، فالله تبارك وتعالى هو خالقُ السَّموات السبع والأرضين والعرش والكرسي وخالق الأماكن كلها، لذلك **لا يجوزُ** أن يُعتقد أنَّ الله تعالى موجودٌ في مكانٍ كالسَّماءِ أو في كل الأمكنة أو أنَّه مُتمكِّنٌ وجالسٌ على العرش أو مُنبثٌّ ومُنتشر في الفضاء أو أنَّه قريبٌ مناًّ أو بعيدٌ بالمسافة، تعالى الله سبحانه وتعالى، وتنزَّه عن هذه الكيفيّات كلِّها، **لأنَّه تعالى موجود بلا كيفٍ ولا مكان** لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ ﴾ [سورة الشورى آية 11]، فلو كان للهِ تعالى مكانٌ وجِهةٌ لكانَ له أمثالٌ وأبعادٌ طولٌ وعرضٌ وعُمقٌ، ومن كانَ كذلك كان مُحدَثاً مَخلوقاً مَحدوداً مُحتاجاً لِمن حدَّه بِهذا الطولِ والعرضِ والعُمق.

يقولُ الإمام عليٌ رضي الله عنه: « **كَانَ اللَّهُ وَلاَ مَكَانَ وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ** ». ويقول أيضاً في تنزيه الله عن الجلوس : « **إِنَّ الله خَلَقَ العَرْشَ إِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ وَلَمْ يَتَّخِذهُ مَكَاناً لِذَاتِهِ** ».

فالله تعالى هو خالق المخلوقات كلّها، وخالقُ المخلوقات يَستحيلُ عليه في العقل أن يُشبِهَها فيستحيل على الله تعالى إذاً الصورة والهيئة والشكل والحجم والمقدار والحركة والسُّكون والألوان والطُعوم والاجتماع والافتراق والاتصال والانفصال وكذلك يستحيل على الله عزَّ وجلَّ المكان والجهة لأن من له مكان يكون جِسماً له حدودٌ ومساحة وأبعادٌ ويحتاج إلى من جعله بِهذا الحجم وبِهذا المقدار والحد، لذلك لا يجوز أن يُعتقد أنَّ الله تبارك وتعالى له حدودٌ ومساحةٌ. يقول الإمام عليٌ مصباح التوحيد : « مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهَنَا مَحْدُودٌ فَقَدْ جَهِلَ الْخَالِقَ الْمَعْبُود »، ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت321 هـ) في عقيدته المُسمَّاة ''العقيدة الطحاوية'' والتي بيَّن فيها عقيدة أهل السنة والجماعة: « تَعَالَى -يعني الله تعالى- عَنِ الحُدُودِ وَالغَايَاتِ وَالأَرْكَانِ وَالأَعْضَاءِ وَالأَدَوَاتِ وَلاَ تَحْوِيهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كَسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ »، والجهاتُ الست هي: فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف. ويقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في كتابه الفقه الأبسط في نفي المكان والجهة عن الله عزَّ وجلَّ : « كان الله ولا مكان كان قبل أن يَخْلُقَ الخلق...كان ولم يكن أينٌ ولا خَلْقٌ وهو خالق كل شيء ». ويقول الإمام الجليل أبو حامد الغزالي: '' إنَّه -يعني الله- منزّه عن المكان وجميع الأمكنة ''.

وقد ألف الإمام ابن البرمكي رضي الله عنه في العقيدة التي ألفها لصلاح الدين الأيوبي وبيّن فيها تنزيه الله عز وجل عن مشابَهة المخلوقات وعن المكان والجهة فقرر صَلاَحُ الدِّين لعظيم أمرها وفائدتِها ولما حوت من معان عظيمة في توحيد الله جلَّ وعلا تدريسها للصغار والكبار لما تضمَّنت من عقائد أهل السنَّةِ والجماعة وما كان

عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن تبعهم بإحسان، حتى سميت العقيدة الصلاحية. يقول في هذه العقيدة :

وَصَانِعُ العَالَمِ لاَ يَحْوِيهِ — قُطْرٌ تَعَالَى اللهُ عَنْ تَشْبِيهِ
قَدْ كَانَ مَوْجُوداً وَلاَ مَكَانَا — وَحُكْمُهُ الآنَ عَلَى مَا كَانَا
سُبْحَانَهُ جَلَّ عَنِ المكَانِ — وَعَزَّ عَنْ تَغَيُّرِ الزَّمَانِ

واعلم يا أخي المسلم أنَّه يجب طرد كل فكرةٍ عن الأذهان تُفضي إلى تقدير الله عزَّ وجلَّ وتحديده لأنَّه تعالى لا يُحَدُّ وهو موجودُ بلا كيفٍ ولا مكان ولذلك يقول الإمام الجليل أبو سليمان الخطابي رضي الله عنه : « **إنَّ الذي يجبُ علينا وعلى كلِّ مسلم أن يَعلَمَهُ أنَّ ربنا ليس بذي صورةٍ ولا هيئة فإنَّ الصورة تقتضي الكيفية وهي عن الله وعن صفاته منفية** ». قالَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل (164– 241 هـ) رضي الله عنه : « **مهما تصَوَّرتَ بِبَالكَ فاللهُ بخلافِ ذلك** » رواه الفقيه أبو الفضل التميمي المتوفى سنة 410 هـ، وروى ذلك عن ذي النون المصري الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 هـ. فكلُّ ما تصوَّرتَ فهو مخلوقٌ واللهُ لا يُشبِهُ المخْلوقَ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « **لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ** » رواه السيوطي في تفسيره. وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **تَفَكَّروا في كُلِّ شيء ولا تفكَّروا في ذَاتِ الله** ».

قالَ الله تعالى : « **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** » [سورة طه آية 110]، فالمخلوقاتُ لا تعرفُ حَقيقةَ الله، فَنحنُ لا نعْرفُ حَقيقةَ اللهِ إنَّما نعرفُ اللهَ بصِفاتهِ، وبِتَنزِيهِهِ عَنْ صِفَاتِ الخَلْقِ وعَنْ كُلِّ ما لا يليقُ بِهِ تَعَالى.

قال سيدنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنه : « **العَجْزُ عن دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ والبَحْثُ عن ذَاتِهِ كُفْرٌ وإِشْرَاكُ** » رواه بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع.
المعنى أنَّ الإنسانَ إذا عرفَ اللهَ تعالى بأنه موجودٌ لا كالموجوداتِ، موجودٌ بلا مكانٍ ولا كيفيةٍ واقتصرَ على هذا ولم يبحثْ عن ذات الله تعالى للوصولِ إلى حقيقة الله فهذا إيمانٌ هذا رُشْدٌ وإيمانٌ وصوابٌ، الذي يكتفي بأن الله تعالى موجودٌ لا يُشبه الموجودات لا يتصوَّرُ في حقِّه مكانًا ولا هيئةً ولا كيفيةً بل اكتفى بأن يعتقدَ أن الله موجودٌ لا يُشبِهُ الموجودات موجودٌ بلا كيفيةٍ ولا مكانٍ اقتصرَ على هذا وقَنِعَ ورضيَ بذلك هذا يُقال: عرَفَ اللهَ. أما الذي لا يكتفي بذلك يُريدُ أن يعرفَ حقيقتَه فيتصوَّرُه كإنسانٍ أو ككُتلَةٍ نورانيَّةٍ أو نحوِ ذلكَ أو يتصوَّرُه جِسمًا قاعدًا على العرشِ فهذا كفرَ بالله تباركَ وتعالى، هذا معناه، والبحثُ عن ذاته كفرٌ وإشراكُ.

صِفَاتُ اللهِ الوَاجِب مَعْرِفَتُها

قال علماء أهل السُّنّة : إنَّ الواجبَ العيني المفروضَ على كل مكلفٍ أي البالغ العاقل أن يعرفَ من صفاتِ الله ثلاثَ عشرةَ صفةً أي أن يعرفَ معانيها ، ولا يَجبُ عليه حِفظُ ألفاظها ، وذلك لتكرر ذِكرها في القرءان كثيرًا إما لفظًا وإما معنىً وهي صفاتٌ أزليةٌ أبديةٌ باتفاق أهل الحق لا تُشبِهُ صفاتِ البشر. وهي : الوجودُ

والوحدانيةُ والقدمُ (أي الأزلية) والبقاءُ وقِيامُهُ بِنفسه والقُدرة والإرادةُ والعلمُ والسمعُ والبصرُ والحياةُ والكلامُ وتَنَزُّهُه عن المشابَهَةِ للحادث.

صِفةُ الوُجُودِ

اللهُ تعالى موجودٌ أزلاً وأبداً قال الله تعالى : ﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ** ﴾ أي لا شك في وجوده فليس وجوده تعالى بإيجادِ مُوجِدٍ. واللّه تعالى موجودٌ لا يُشبِهُ الموجُوداتِ، موجودٌ بلا كيفٍ ولا مكانٍ كما قال الإمامُ عليٌّ رضي اللهُ عنه : « **كان اللهُ ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان** ». وقال الإمام أحمد الرفاعي : « **غايةُ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ بوجوده تعالى بلا كيفٍ ولا مكان** ». فمعرفتنا نَحنُ بالله ليست على سبيلِ الإحاطةِ بل بمعرفةِ ما يَجِبُ لله من الصفاتِ كالعلمِ ، ومعرفةُ ما يَستحيلُ في حقه تعالى كالشريكِ، ومعرفةُ ما يَجوزُ في حقهِ سُبحانَهُ كإيجاد شيءٍ وإعدامِه.

صِفةُ الوَحْدَانِيَّةِ

الله تعالى واحدٌ لا شريكَ لَه أي ليس له ثانٍ ، وليس مركبًا مؤلفًا كالأجسام فالعرشُ وما دونه من الأجرام مؤلَّفٌ من أجزاءٍ فيستحيلُ أن يكون بَينَهُ وبين اللهِ مشابهة، فلا نظير له تعالى في ذاته ولا في صفاتِه ولا في أفعاله ، قال تعالى : ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ [سورة البقرة آية 163]، فاللّه تعالى لو لم يكن واحدًا وكان متعددًا لم يكن العالَم منتظمًا، لكن العالَم مُنتظَمٌ فَوجَبَ أنَّ اللهَ تعالى واحدٌ ، قال الإمام أبو حنيفة : « **واللهِ واحدٌ لا من طريقِ العَدَد ولكن من طريق أنه لا شريك له** ». فاللّه سبحانه مُباينٌ أي غيرُ مُشابهٍ لجميع المخلوقات في الذات (أي ذاتُه لا

يُشبه ذواتِ المخلوقاتِ) والصفاتِ (فصفاتُه لا تُشبه صفاتِ المخلوقاتِ) والفعلِ (أي فِعلُه لا يُشبه فِعلَ المخلوقات).

صِفَةُ القِدَمِ

الله تعالى قديمٌ بِمعنى أنه لا بداية لوجوده أي أزلي ، لأن الإله لا بدَّ أن يكون أزليّاً وإلا لكان محتاجًا إلى غيره والمحتاج إلى غيره لا يكون إلَهاً وما سواه تعالى فهو حادثٌ مَخلوق قال تعالى: ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ** ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « **كَانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيءٌ غَيْرُهُ** ». أي أن الله لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيره لا ماءٌ ولا هواءٌ ولا أرضٌ ولا سَمَاءٌ ولا عرشٌ ولا كرسيٌ ولا ملائكةٌ ولا زمانٌ ولا مكانٌ فهو الذي خلق المكان فليس بِحاجة إليه. ومن قال العالَمُ أزلي بِجنسِهِ فقط أو بجنسِهِ وأفرادِهِ فهو كافرٌ مكذِّبٌ لله ورسوله.

صِفَةُ البَقَاءِ

اللهُ تعالى موجودٌ باقٍ إلى ما لا نهاية له، فلا يلحقه فَنَاء لأنه لَما ثبت وجوبُ قدَمه تعالى وجب له البقاء، والبقاء الذي هو واجبٌ لله هو البقاء الذاتي أي ليس بإيجاب غيره البقاءَ له، بل هو يستحقه لذاته لا لِشيءٍ آخر، قال تعالى: ﴿ **وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ** ﴾ وأما البقاء الذي يكون لبعض خلق الله كالجنة والنار الثابت بالإجماع فهو ليس بقاءً ذاتيّاً لأن الجنة والنار حادثتان والحادث لا يكون باقيًا لذاتِه، فبقاء الجنة والنار ليس بذاتِهما بل لأن الله شاء لهما البقاء، فلا شريك لله في صفاته.

صِفَةُ القِيَامِ بالنَّفْسِ

اللهُ تعالى مُستغنٍ عن كُلِّ ما سِواهُ فلا يحتاجُ إلى أَحَدٍ من خَلقهِ إذ الاحتياجُ للغيرِ علامةُ الحدوثِ والله منزَّهٌ عن ذلك وكلُّ شيءٍ سوى اللهِ مَحتاجٌ إلى الله لا يَستغني عن اللهِ طرفَةَ عَين. قالَ تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران آية 98] وقال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: « إنَّ الله خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرته ولَم يتخذه مكانًا لذاته ».

والله تعالى لا ينتفعُ بطاعة الطائعين ولا ينضرُّ بعصيان العُصاة، فقد خَلَقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ليُعَلِّمنا التأني في الأمورِ، ولا يُصِيبُه تَعَبٌ لأنه مُنَزَّهٌ عن التَعَبِ، فالله موجودٌ بلا مكانٍ ولا جهةٍ لأنه ليس جسمًا.

صِفَةُ القُدْرَةِ

الله تعالى موصوف بقدرة أزلية أبدية يؤثر بِها في الممكنات أي في كل ما يَجوز في العقل وجوده وعدمه. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة المائدة آية 120] فالله تعالى يستحيلُ عليه العجزُ، لأنه لو لَم يكن قادرًا لكان عاجزًا ، ولو كان عاجزًا لَما وُجِدَ هذا العالَم.

صِفَةُ الإِرَادَةِ

الله تعالى موصوفٌ بالإرادة وهي بِمعنى المشيئة يُخَصِّصُ الله بِها الممكن العقلي بصفةٍ دون صفةٍ، وهي واجبة له تعالى وشاملةٌ لجميع أعمالِ العباد الخير منها والشر.

وقد ورد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم علَّم بنته فاطمة أن تقول: « **مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ** » رواه أبو داود.

صِفَةُ العِلْمِ

الله تعالى يعلم بعلمهِ الأزلي كلَّ شيءٍ، يَعلَم ما كانَ وما يكون وما لا يكون قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ** ﴾ فعِلْمُ الغيبِ جميعهِ خاصٌ بالله تعالى، أما بعضُ الغيب فإن الله يُطلِعُ عليه بعضَ خَلقِهِ وهُمُ الأنبياءِ والأولياءِ. ويكفر من يقول إنَّ الرسولَ يعلم كلَّ شيءٍ يَعلَمهُ الله، لأنه جعل الرسولَ مُساويًا لله في صفة العلم. إنَّ من المقرَّر بين الموَحّدين أنّ الله تعالى لا يساويه خلقُه بصفةٍ من صفاته.

صِفَةُ السَّمْعِ

الله تعالى يسمع بسمع أزلي أبدي كُلَّ المسمُوعات بلا أذن ولا آلَةٍ أخرى، وأما سمع المخلوقات فهو حادث مخلوق. قال تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ [سورة المجادلة آية 1].

صِفَةُ البَصَرِ

الله تبارك وتعالى يرى الحادثاتِ برؤيتهِ الأزلية ، وبصرُهُ لا يُشبِهُ بَصرَ المخلوقاتِ لأنه سبحانه يرى كلَّ المُبصَرَات من غير حاجةٍ إلى حَدَقةٍ ولا إلى شعاعِ ضوءٍ، أما بَصَرُ المخلوقاتِ فهو بآلةٍ. قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [سورة الشورى آية 11] .

فلا بد لمن أراد النجاة أن يتعلّم عِلمَ التَنْزيهِ تفهُّمًا من أفواهِ أهلِ العِلمِ كي لا يقع في تشبيه الله بِخلقه.

صِفَةُ الكَلاَمِ

الله تبارك وتعالى مُتكلمٌ بكلامٍ أزلِي أبديٍ لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقيَن ليس لِكلامِه ابتداء ، ليس له انتهاء ، لا يطرأ عليه سُكوتٌ أو تَقطّع لأنه ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً وأمَّا كلامُ المخلوقين فهو بِحرفٍ وصوتٍ وبالآلات.

قال تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** ﴾، أَيْ أَسْمَعَ اللّهُ مُوسى كَلامَهُ الأَزَلِيَّ الأَبَدِيَّ الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ. أزال اللّهُ المانعَ عن سمع موسى، فسَمِعَ كلامَ اللّهِ منْ غير أن يَحُلَّ الكلامُ الأزليُّ في أُذن موسى، فموسى عليه السلام حادثٌ وسمْعُه مخلوق وأمّا مسموعهُ وهو كلام الله فليس بحادثٍ. قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه : « **ويتكلم لا ككلامنا، نَحن نتكلم بالآلات من المخارج والحروف والله متكلمٌ بلا آلة ولا حرفٍ** ».

صِفَةُ الحَياةِ

الله تعالى موصوفٌ بِحياةٍ أزليةٍ أبديةٍ ليست بروحٍ ولحمٍ ودمٍ، وهو سُبحانه وتعالى يستحيل عليه الموتُ لأنه لو لَم يكن حيًّا لم يوجد شيءٌ من هذا العالَم لأنّ من ليس حيّاً لا يتصف بالقدرة والإرادة والعِلم، ولو كان الله تعالى غير متصف بِهذه الصفات لكان متصفًا بالضِّد وذلك نقص والله مُنَزَّهٌ عن النقص. أما حياةُ المخلوقين فهي

باجتماع الروحِ والجَسَدِ ولحمٍ وعظمٍ ودمٍ ويَدخُلُها التقطع وأما حياةُ الله فكسائرِ صفاتِه لا يَدخُلها التقطع ولا التَّغيُّر. قال اللهُ تعالى : ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [سورة البقرة آية 255].

صِفَةُ المخالَفَةِ للحَوَادِث

الله تعالى مُتصفٌ بكل كمالٍ يليقُ به وهو مُنَزَّهٌ عن كلِ نقصٍ أي ما لا يليقُ به تعالى كالجهلِ والعجزِ والمكانِ والحيّزِ واللونِ والحَدِّ. قال اللهُ تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ [سورة الشورى آية 11].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي (المتوفى 329 هـ) : « **تعالى (يعني الله) عن الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ ولا تحويه الجهاتُ السّتُ كسائر المُبْتَدَعَات** ». أي لا تحوي الله تعالى الجهاتُ السّتُ كما تحوي جميعَ الأحجام ، إذ الأحجامُ لا تَخلُو عن التحيّز في إحدى الجهات الستِ، لأن الحَجم لا بدَّ أن يكونَ في مكانٍ. إذن الله موجود بلا مكانٍ ولا جهةٍ.

الإسْلامُ دِينُ جَمِيعِ الأَنْبياءِ

فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَّبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران آية 19 و85]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلات دينُهم واحدٌ وأمهاتُهم شتى وأنا أولى الناسِ بعيسى بنِ مريمَ ليسَ بيني وبينَه**

نبيٌ » رواه البُخَارِيُّ. النبيُّ صلى الله عليه وسلم شبَّهَ الأنبياءَ بالإخوةِ لعلات من حيثُ أنَّ الأنبياءَ دينُهم واحدٌ عقيدتُهم واحدةٌ جاؤوا بالإسلامِ دينِ اللهِ تعالى الذي ارتضاهُ اللهُ لعباده، وشرائعُهم متعددةٌ كما أن الإخوةَ لعلاتٍ أمهاتُهم متعددةٌ. فالأنبياء كالأخوة الذين أبوهم واحد وذلك لأن دينهم واحد وهو الإسلام وإنما الفرق بينهم في الشريعة التي هي الفروع العملية كالزكاة والصلاة ونحو ذلك، وشريعة سيدنا محمد هي أحسن الشرائع وأيسرها، وهذا التغيُّر في الشريعة على حسب ما تقتضيه الحكمةُ والله أعلم بمصالح الناس من أنفسهم. ومن الغلط الشنيع في قول بعض الناس الأديان السماوية الثلاثة. **فإنه لا دينَ صحيح إلا الإسلام وهو الدّينُ السّماوِيُّ الوحيدُ.**

وقال الإمام أبو حنيفة رَضيَ الله عنه : « **لا يَكون إسلامٌ بلا إيمانٍ ولا إيمانٌ بلا إسلامٍ فهُما كالظّهرِ مع البَطنِ** ». فغير المسلم لا يجوز أنْ يُسمّى مؤمِنا. قال الله تعالى : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ**﴾ [سورة آل عمران آية 98]، وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم**﴾ [سورة آل عمران آية 110]. فأهلُ الكِتابِ ليسو مؤمنينَ، إنَّما ينتسبونَ للتّوراةِ والإنجيلِ وهم حرّفوهما، قال تعالى : ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ [سورة النِّساء آية 46].

قال الله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ**﴾ [سورة البقرة آية 213]، أي كلُّ النّاسِ كانوا على دين الإسلام في زمن

آدم وشيث وإدريس ثم حصل الكُفر بعد وفاة النّبيّ إدريسَ حتى أرسل الله سيدنا نوح عليه السلام.

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة آل عمران آية 33]، ليُعلَم أنّ الله خلَقَ آدمَ عليه السلام وخلق حَوَّاءَ وجعَلَ آدمَ نبيّاً رسولاً. وكانت حوّاءُ تَلِدُ في كلّ مرّة ذكراً وأنثى فَوَلَدَتْ أربعين مرّة. وكان في شَرْعِ آدمَ عليه السلام يجوز للأخ أن يتزوَّجَ أختَهُ من البطن الآخر حتى ينتَشِر نسلُ البشر في الأرض.

وقد أفاض الله على آدم فكان يعرِفُ الكَلامَ وكان يعرف أسماءَ الأشياء كلّها. وقد علّم آدم أولادَهُ أصلَ الاعتقاد فكان يَقُولُ لهم اعبُدُوا الله ولا تشرِكوا به شيئاً ومَن يُشرِك بالله فإن مصيره أن يدخلَ النّار ويخلد فيها. وهكذا كان أولادُهُ على دينِ الإسلام دينِ جميع الأنبياء.

ثم بعد أن جاء النبيُّ إدريس عليه السلام واستمرَّ على هذه الدعوة، حَدَثَ بعدَهُ أن أشرَكَ بعضُ الناس بعبادَتِهِم لغير الله، فجاء نوح عليه السلام وكان أوّل نبيّ أُرسِلَ إلى الكفّار يدعو إلى عبادة الله الواحِدِ الذي لا شَريكَ له. ثم بعد ذلك تَتَابَعَ الأنبياءُ وكُلُّ واحدٍ منهم يدعو إلى دين الإسلام.

ثم جَاء إبراهيم عليه السلام يدعو قَومه إلى الإسلام . قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَّلاَ نَصْرَانِيّاً وَّلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾

[سورة آل عمران آية 67]. وغيرُ صحيحٍ ما قيلَ عن إبراهيم إنه عَبَدَ الكوكَبَ وإنّما أنكرَ ذلك على قومه.

ثم جاء موسى عليه السلام يدعو أيضاً قومه إلى الإسلام فآمنَ به بعضُ الناس وكذَّبه آخرون، فكان منهم طائفة كفروا وقالوا : " عزير ابن الله " وبعضُهُم قال: (إن الله خلق السموات والأرض في ستّة أيام ثم تعب فاستلقى على قَفاه)، فهؤلاء كُفَّار لَيسوا على عقيدةِ موسى الذي أمَرَهُم بتوحيدِ الله وتَنزِيهِه. وكان موسى على اعتقادِ أنَّ الله مَوجُودٌ لا يُشْبِهُ المَوجودات وأنَّه خالِقُ كُلِّ شيءٍ فَلاَ يحتاج إلى شيء، خلقَ الضوءَ فهو لا يُشْبِهُهُ وخلقَ الإنسانَ فهو لا يُشْبِهُهُ ، وأنَّ الله لم يَتْعَبْ ولم يحصُلْ له عجزٌ لأنَّه القَوِيُّ الذي لا يَتعب ولا يَتَغَيَّر.

وبعد وفَاةِ موسى جاءَ عيسى المسيح فصارَ يدعو إلى تلك الدَّعوةِ التي دَعا إليها جَميعُ الأنبياء قبلَه وبَشَّر بنبيٍّ يأتي من بعدِهِ اسْمُه أحمد هو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فآمن به بعضُ النّاسِ وكفَرَ آخرون. وكان هو ثابتاً على الاعتقادِ الصحيحِ. وكان عيسى على اعتقادِ أنَّ الله ليسَ أباً ولا ابناً وليس شيئاً مُرَكَّباً ومُؤَلَّفاً من أجزاء، تعالى الله عن ذلك. ثم إنَّ أناساً أرادوا قتلَ المسيحِ فحَمَاهُ الله مِنهُمْ وأنزلَ شَبَهَ عيسى على رَجُلٍ من تلاميذه المسلمين، ورُفِعَ عيسى إلى السماء فدَخَلَ الكَفَرةُ فأخذوا شَبيهَه وقتلوه وصَلَبوه فليسَ المصلوبُ عيسى بل شبيهه. وعيسى لم يأمُرْ قومَه أن يَعبُدُوه بل أمَرهُم بعبادة الله وحدَه. قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحسَّ عِيسَى مِنهُمُ الكُفرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ ءَامَنَّا بِاللهِ واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [سورة ءال عمران آية 52]. فقد قال له الحوارِيُّونَ: ﴿ **وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾، فإن

عيسى لم يَدعهُم إلى عبادَتِهِ بل إلى عبادة الله وحده. قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ وإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾. ثم في الآية التي تليها: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾ من هذا يظهَرُ أنَّ عيسى دعا إلى عبادة الله وحده وليس إلى الإشراك.

ثم بعد أن رُفع عيسى عليه السلام جاء مُحمَّد صلى الله عليه وسلم ليُجدِّدَ الدّعوةَ إلى دين الإسلام بعد أن انقَطَع فِيمَا بين النَّاس في الأرض مؤيّداً بالمعجزات الدالّة على نُبوَّته، فدخل البعضُ في الإسلام وجَحَدَ بنبوَّته أهلُ الضَّلالِ الذين مِنهم مَن كان مُشْرِكاً قَبلاً فازدادوا كفراً إلى كفرِهم.

فالمبدأ الإسلاميُّ الجامعُ لجميع أهل الإسلام هو عبادةُ الله وحدَهُ. ومن خلالِ ما عرضناه يَتبَيَّنُ لنا أنَّ دينَ الأنبياء كلهم هو دينُ الإسلام، وأن الدِّينَ السماويَّ هو دينُ الإسلام. **فلا يُقال** "الأديان السماوية"، لأنّ الله لم يأمُر إلّا بإتباع دينٍ واحد هو الإسلام. وإنَّما الذي قد يختلِفُ فيه النبيُّ عن نبيٍّ آخر هو الشريعة. والشريعة هي الأحكام العَمَليّة. مثالُ ذلك أنه كانت من شريعة آدم ومن بعده إلى زمان بني إسرائيل فرضيَّةُ صلاةٍ واحدةٍ ثم فُرِض على بني إسرائيلَ صلاتان إلى أَن جاء محمَّد صلى الله عليه وسلم فَفُرِضَ عليه خمسُ صلوات. فأصول العقيدة من الإيمان بالله ورسوله ونحو ذلك لا تقتضي مَصْلَحَةُ العبادِ مهما تَطَاوَلَت العُصُور تَغييرَها بخلاف الشرائع.

بَيَانُ عِصْمَةِ الأَنبِيَاءِ

الله تعالى أرسل أنبياءه ليبلغوا الناس مصالح دينهم ودنياهم فهم قدوة للناس، ولذلك فإن الله تعالى جملهم بصفات حميدة وأخلاق حسنة منها: الصدق والأمانة والفطانة والشجاعة والعفة، قال تعالى بعد ذكر عدد منهم: ﴿ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام آية 86]. فالأنبياء هم صفوة الخلق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَإِنَّ نَبِيَّكُم أَحسَنُهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنُهُمْ صَوْتًا » رواه التِّرميذي.

قال السبكي في تفسيره : **أجمعت الأمّة على عصمة الأنبياء فيما يتعلّق بالتبليغ وفي غير ذلك من الكبائر ومن الصغائر الرّذيلة الّتي تحطّ مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر ، هذه الأربعة مجمع عليها** (2\256 من الخصائص الكبرى للسيوطي رحمه الله تعالى).

يَجِبُ اعْتِقَادُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُتَّصِفًا بِالصِّدْقِ وِالأمانَةِ والْفَطانَةِ، فَيَسْتَحيلُ عَلَيْهِمْ الْكَذِبُ وَالْخِيانَةُ وَالرَّذَالَةُ وَالسَّفاهَةُ وَالْبَلادَةُ، وَتَجِبُ لَهُمْ الْعِصْمَةُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَبائِرِ وَصَغائِرِ الْخِسَّةِ قَبْلَ النُّبُوَةِ وَبَعْدَهَا، وَيَجوزُ عَلَيْهِمْ ما سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْمَعاصِي لَكِنْ يُنبَهونَ فَوْرًا لِلتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ.

فإن الله تعالى قد أرسل الأنبياءَ ليبيّنوا دين الإسلام وينشروه. والنُبوّة اشتقاقها من النبأ أي الخبر، لأنّ النبوّة إخبارٌ عن الله. والسبيل إلى معرفة النبي "المعجزة" وهي أمرٌ

خارقٌ للعادةِ يأتي على وفقِ دَعوَى من ادَّعَوا النُّبوة سالِمٌ من المعَارَضَةِ بالِمثلِ، كانفجار الماء الزُّلال من بين أصابع النَّبي وعدم إحراق النّار لإبراهيم. فما كان من الأمورِ عجيباً ولم يكن خارقاً للعادةِ فليس بمعجزةٍ وكذلك ما كان خارقاً لكنه لم يقترن بدعوى النّبوةِ كالخوارقِ التي تظهرُ على أيدي الأولياءِ أتباعِ الأنبياءِ فإنه ليسَ بمعجزةٍ بل يسمى كرامةً وكذلك ليسَ من المعجزةِ ما يستطاعُ معارضتهُ بالمثلِ كالسِّحرِ فإنَّه يُعَارَضُ بسحرٍ مثله.

وتجب للأنبياء العصمةُ من الكفر والكبائر وصغائر الخِسَّة والدناءة كسرقة حبَّة عنب. وقد يحصل من بعضهم معصيةٌ صغيرةٌ ليس فيها خسّةٌ كما حصل من آدم حين أكل من الشجرة ثم تاب بعد ذلك. فممّا مضى نَعلَم أنَّ النبيَّ لا يحصُلُ منه كفرٌ لا قبل النبوة ولا بعدها، لأن الله يَحفَظُه ويُلهِمُه الإيمانَ قبل أن يَنزِل عليه الوحي. ويُعلَم من هذا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن يَعبُدُ الكوكبَ بل كان يُنكِر على قومه ذلك. فما ورد في القرءان الكريم عن إبراهيم أنه قال لما رأى الكوكب : ﴿ **هَذَا رَبِّي** ﴾ فهذا للإنكار عليهم معناه (أهذا ربّي كما تزعمون) أي يستحيل وليس معناه الموافقة لهم، ولكي يُفهِم قومه أنّه لا تصِحّ الألوهيَّةُ للكوكب، فلمّا غاب الكوكبُ قال: ﴿ **لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾ أي أن الكوكب وكذا الشمس والقمر لا يصحّ في العقل أن يكون واحدٌ منها إلهاً يُعبَد من دون الله، لأنّ كلّ واحدٍ من هذه الأشياء يأتي ثم يغيب وله حَجْمٌ مما يدلّ على أنّه مخلوقٌ وليس خالقاً.

ويجب للأنبياء عقلاً صفة الأمانة فلا يجوز عليهم ارتكابُ الخيانة في الأقوال والأفعال والأحوال فإذا استنصَحَهُم شخص لا يكذبون عليه فيوهمونه خلاف الحقيقة وإذا وضع عندهم شخصٌ شيئاً لا يُضيّعونَه.

ولا يجوز عليهم ارتكابُ الكبائر قَبلَ النبوّة ولا بعدَها. فلم يحصُلْ من أيّ نبيّ أنه شَرِبَ الخمرَ أو سرق ولم يحصل من نبيّ أنه زنى. ويوسف عليه السلام لم يهمّ بالزنى وإنما هَمَّ بدَفع امرأةِ العزيزِ عنه ثمّ أُلْهِمَ أن لا يدفَعَها حتى لا يُقال هو أرادَ الفاحِشَةَ فلمّا انصرَفَ من وجهِها شقَّت قميصَهُ من خَلْفٍ فعَلِمَ الناسُ أنَّها هي التي أرادت الزنى وهو لم يُرد ذلك ولم يَهمَّ بالزنى لأنه معصومٌ كسائر الأنبياء عن مثل هذا الشيء. وينبغي الحذر من كلام بعض المفترين الذين يزعمون أن سيدنا داوود أُعجب بامرأة قائد الجيش عنده فبعثه داوود إلى القتال كي يأخذ زوجته، وهذا افتراء عظيم.

وليُحذَر مما يفتريه بعضُ قاصِري العقول الذين يقولون إن محمّدًا كان مُتَعَلِّقَ القلبِ بالنساء لذلك تزوّجَ أكثرَ من أربع. والجواب على هؤلاء أن يقال لهم إنّ سيّدَنا محمدا صلى الله عليه وسلم كان معروفاً بين أهل مكة بمحمّدٍ الأمين وكان أُوتِيَ من الجمال ما لم يُساوِه فيه أحد ، فلو كان وَلوعًا بالنساء لظهَرَت منه رَذِيلَةٌ بل رذائل ولكان قومُهُ طَعَنُوا فيه وذلك لم يحصل. ولم يتزوّج الرسولُ إلا بعد أن صار عمره خمسة وعشرين عاما ثم ماتت زوجته وحين بلغ من العمر خمسين تَزَوَّجَ امرأةً أخرى ثم عَدَّدَ لِحِكَمٍ تَعُودُ إلى مصالح دَعْوَتِه. ومن جملة تلك الحِكَم أن تنتشِرَ شريعَتُهُ بطريق النساء إلى النساءِ. فتأملوا! فلو كان الأمر كما يقولُ السُّفَهَاءُ عنه

لكان عَدَّدَ الزواجَ قبل أن يبلُغَ خمسين سنة كما هو شأن المنهمكين في هذه الأمور!! ومن الدليل على أنه لم يكن متعلّقَ القلب بالنساء ما رواه مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أنّها قالت: « **مَا كَانَتْ تَمُرُّ لَيْلَتِي على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ خَرَجَ إلى البَقِيع** » أي جبانة المدينة يدعو لأهل الجبّانة مع ما اجتمع في عائشة من حداثة السن والجمال.

ويجب للأنبياء الفَطانة فتستحيل عليهم الغَباوة لأنّهم بُعِثوا لِبيانِ الحقّ فلا يَلِيقُ بِهم أن يكونوا قاصرين عن إقامة الحُجّة على مَن جَانَبَ الحقَّ وعاداه. قال الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [سورة الأنعام آية 83]. ويجب لهم أيضًا التبليغ فلا يجوز عليهم أن يكتُمُوا شَيئًا مما أُمِروا بتبليغه لأن ذلك يُنافي مَنصِبَ النبوّة.

ولا يجوز أن يُنسَبَ للأنبياء صفاتٌ لا تليق بهم. فمثلاً لا يجوز أن يقال إنَّ موسى فرَّ جُبنًا من فرعون، وإنّما موسى عمل ما أمرَهُ الله به فذهب وضرب البحرَ فانفرَقَ البحرُ اثنى عَشَرَ فِرقًا كلّ فرقٍ كالجبل العظيم ثم مرَّ هو ومَن معه فلمّا تبعه فرعونُ عاد البحرُ كما كان ومات فرعون. ولا يجوز أن يقال إن محمدًا صلى الله عليه وسلم قد هُزِمَ في معركةٍ من المعارك، إنما الرسولُ ثابتٌ والذين خالفوه ولم يطيعوه هم خَسِرُوا. وكذلك لا يجوز أن يقال إنّ النبي ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة هرب وفرَّ جبناً والعياذ بالله، إنّما النبي ﷺ هاجَرَ امتثالا لأمر الله.

قال رسول ﷺ: « **مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلاَّ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وَإِنَّ نَبِيَّكُم أَحسَنُهُمْ وَجْهًا وَأَحْسَنُهُمْ صَوْتًا** » رواه التِّرميذي، فالأنبياء لا تُصِيبُهُم الأَمْراضَ

المنفِّرَةُ كالبَرَصِ وخُروج الدُّودِ، فغَيرِ صَحيح أنَّ سيِّدَنا أَيُّوبَ خَرَج مِنهُ الدُّودَ وغَيرُ صَحيحَ أنّهُ كَان يأخذَ الدُّود ويقول كولي ممّا رزقك اللّه ، فمن قال ذلك فقد كذّب الدِّين.

كذلك كل الأنبياء يتكلمون بكلام مفهم حسن، **فلا يجوز** أن يعتقد أن سيدنا موسى كان كلامه غير مفهم ولا يطاوعه لسانه، ونسبة ذلك للأنبياء مخرج من الإسلام.

واعلموا إخوة الإيمان أن اسم لوطٍ أعجميّ ليس عربيًّا وليس مشتقًّا من اللّواط لأن اللواطَ لفظ عربي ولا يليق بمنصب الأنبياء أن يكون اسم أحدهم مشتّقا من لفظ معناه خبيث، فأسماء الأنبياء ليست خبيثة ولا مشتّقة من خبيث ولا يشتق منها خبيث.

الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ

الكُتُب السّماوية دَعَت كلها إلى دين الإسلام، الّذي هو الدّينُ السّماويُّ الوحيد.

وإنّ أشهر الكتب السماوية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على أنبيائه هي: القرءان الكريم، التوراة، الإنجيل، والزبور. وقد أنزل الله تبارك وتعالى على سيدنا شيث عليه السلام خمسين كتابًا، وعلى سيدنا إدريس عليه السلام ثلاثين، وعلى سيدنا موسى عليه السلام أحدَ عشر كتابا أحدها التوراة باللّغة العبريّة وعلى سيدنا إبراهيم عليه

السلام عشرة، والقرآن أُنزل على سيدنا محمد ﷺ باللّغة العربيّة والإنجيل أُنزل على سيدنا عيسى عليه السلام باللّغة السريانيّة، وأُنزل على سيدنا داود عليه السلام الزبور باللّغة العبريّة. ورد ذلك في حديث رواه ابن حبان في صحيحه.

الإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرّهِ

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [سورة القمر آية 49]. وقال الله تعالى: ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ [سورة الفرقان آية 2].

الإيمان بالقدر خيره وشره معناه: الإيمان بأن كل ما دخل في الوجود من خير وشر هو بتقدير الله الأزلي، فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبته ورضاه، والشر من أعمال العباد بتقدير الله وخلقه وعِلمِهِ ولكن ليس بمحبته ولا برضاه. الله خالق الخير والشرّ لكنه يرضى الخير ولا يرضى الشرّ. الله تعالى خالق أفعال العباد ونيّاتهم ومشيئتهم شرّها وخيرها. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه عَلّم بعض بناته: « **مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ** » رواه أبو داود. فكل ما شاء الله أن يكون كان وما لم يشأ أن يكون لا يكون ولا تتغير مشيئته، فهو على حسب مشيئته الأزلية يغير المخلوقات من غير أن تتغير مشيئته. هذه كلمة أجمع عليها المسلمون سلفهم وخلفهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [سورة التكوير آية 29].

المَلائِكَةُ الكِرَامُ

يجب الإيمان بالملائكة أي بوجودهم وأنهم عباد مكرمون، ليسوا ذكوراً ولا إناثاً لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم آية 6]. والذي يقول إن الملائكة إناث حكمه التكفير قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾ [سورة النجم آية 27]، وقد يتشكلون بصورة الرجال من غير آلة الذكورية.

فإبليس لعنهُ اللهُ، لم يكن ملَكاً، بل كانَ من الجنّ، وكان في أوّلِ أمرِهِ مؤمِناً يعبُدُ اللهَ مع الملائكةِ فلذلكَ لحقَهُ الأمرُ بالسجودِ لآدَمَ عليه السلام، ولكنَّهُ فسَقَ عن أمرِ ربِّهِ ورفَضَ السجودَ واعتَرَضَ على اللهِ والعياذُ باللهِ فطُرِدَ من رحمةِ اللهِ ولُعِنَ إلى أبدِ الآبِدين. قالَ اللهُ تعالى في سورةِ الكهفِ : ﴿ وإذْ قُلْنا للملائكةِ اسجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبليسَ كانَ مِنَ الجِنّ ففَسَقَ عن أمرِ رَبّه ﴾، [سورة الكهف آية 50]. وليُعْلَمْ أنَّ إبْليسَ كافرٌ بِدَليلِ قَولِهِ تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة آية 34]. **ومن قال بخلاف ذلك فقد كذّب القُرآنَ ومن كذّب القُرآنَ فهو كافر.**

اليومُ الآخِرُ

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا** ﴾ [سورة الحجرات آية 15]. أي لم يشُكّوا، فيجب الإيمان باليوم الآخر من غير شكٍّ، فالشكُّ يُنافي الإيمان. واليَوْمُ الآخِرُ هُوَ يَوْمُ القِيامَةِ وَأَوَّلُهُ مِنْ خُرُوجِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِم إلى اسْتِقْرَارِ أَهْلِ الجنَّةِ فِي الجَنَّةِ وأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، وَفِي ذلِكَ اليومِ تدْنُو الشَّمْسُ مِنْ رُؤُوسِ العِبَادِ وَتَحْصُلُ فِيهِ أَحْوَالٌ صَعْبَةٌ يَنْجُو مِنْها المؤْمِنُونَ الأَتْقِيَاءُ.

يجب الإيمان بالجنّة وهي دار السلام، وهي مخلوقة الأن، قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [سورة آل عمران آية 113]. وهي باقية إلى ما لا نهاية قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [سورة النساء آية 13]. وأكثر أهلها من الفقراء، قال ﷺ: « **دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء** » الحديث. وقد أعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: « **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »، رواه البخاري.

ويجب الإيمان بالنار أي جهنم وبأنها مخلوقة الأن، قال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ [سورة البقرة آية 25]، وهي أقوى وأشد نار خلقها الله، ومركزها تحت الأرض السابعة، وهي باقية إلى ما لا نهاية له، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ**

﴿ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴾ [سورة الأحزاب آية 64 و65]. فمن قال بفنائها فقد كذّب القُرءانَ وخرج من الإسلام.

وأما المسلمون العصاة من أهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة صنفان: صنف يعفيهم الله من عذاب النار ويدخلهم الجنة بلا عذاب بفضله ورحمته. وصنف يعذبهم في النار المدة التي يستحقونها ثم يخرجهم منها ويدخلهم الجنة ويعيشون فيها إلى الأبد. إنّ المسلم العاصي الذي يعذبه الله في النار لا يخلد في النار خلوداً أبدياً. لأنّ الكافر هو الذي يخلد الخلود الأبدي في النار.

كَيْفَ يُحَافِظُ الْمُسْلِمُ عَلَى إيمَانِهِ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [سورة الحجرات آية 15] أي أنّ المؤمنين هم الذين صَدَّقُوا بوُجودِ الله تعالى وأنَّه لا يُشْبِهُ شيئًا وصَدَّقُوا أنَّ محمَّداً عبدُهُ ورَسولُهُ، هو آخِرُ نبيٍّ مُرسَل إلى كافَّة العالمين من إنسٍ وجِنّ وأنّه بشرٌ لم يُخلَقْ مِن نور وأنّه صادِقٌ في كل ما يُبَلِّغُهُ عن الله، ولم يَشُكُّوا في ذلك. وقد قال رَسولُ الله ﷺ: « أفضلُ الأعمالِ إيمانٌ لا شَكَّ فيه » رواه مسلم.

فالإيمان شرط لقبول الأعمال الصّالحة، قال الله تعالى : ﴿ مَثَلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية 18]. وقال رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ في الدُّنْيَا حَتّى إذا أَفْضَى إِلى الآخِرَةِ لَم يَكُنْ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ ».

فبمَا أنّ الإيمانَ هو أفضَلُ الأعمالِ عند الله تعالى لأنّه الشيء الذي لا بُدَّ منه حتى يَكونَ عَمَلُ الإنسان مَقْبُولاً، كان حَرِيًّا بالمسلم أن يَعْرِفَ ما هي الأشياء التي تُخْرِجُ مِن الإسلامِ حتى يتجَنَّبها ويُحافِظ على إيمانه فإنّ مَن لم يَعرِف الشرَّ يَقَع فيه. والشيء الذي يقطَعُ الإسلامَ ويُبْطِلُهُ هو الرِدَّةُ والعِياذُ بالله تعالى. ومَن وَقَعَ في الرِدَّةِ فقد خَسِرَ كُلَّ حَسَنَاتِهِ، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَن يَّكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ** ﴾[سورة المائدة آية 5] ومَصيرُهُ إن ماتَ على الردّة أن يدخلَ النّارَ ويخلد فيها إنْ لم يَرجِعْ إلى الإسلام قبلَ موته.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ** ﴾[التّوبة آية 74]. وقال الله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة آية 65 و66].

قَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لا يَرى بِهَا بَأْساً يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً** » رواهُ الترمذيُّ، أيْ مَسَافَةَ سَبْعِينَ عَامًا في النُّزُولِ وَذَلِكَ مُنْتَهَى قَعْرِ جَهَنَّمَ وَهُوَ خَاصٌّ بالكُفَّارِ، وَهَذَا الحَدِيثُ دَلِيلٌ على أنَّهُ لا يُشْتَرَطُ في الوُقُوعِ في الكُفْرِ مَعْرِفَةُ الحُكْمِ ولا انْشِرَاحُ الصَّدْرِ ولا اعْتِقَادُ مَعْنَى اللَّفْظِ ولا نية الكفر.

والردّةُ ثلاثَةُ أقسام: اعتقاداتٌ وأفعالٌ وأقوال

فَمِنَ الأوَّل: الشكُّ في الله أو في رسوله أو في القرءان. ومِن هذا القسم أيضًا أن يعتَقِدَ أنّ اللَّهَ نورٌ بمعنى الضوء أو أنّه رُوحٌ أو اعتقَدَ أنّ سيّدَنا مُحمّداً جُزْءٌ منه، كذلك مَن اعتقَدَ أنّ المسيحَ جزءٌ من الله فهو ليسَ بِمُسلِم. وقد ذَكَر الولِيُّ الشيخُ عبدُ الغَنيّ النابلسِيّ : "**أنّ من اعتقد أنّ اللَّهَ مَلأَ السمواتِ والأرضَ أو أنّه جسم قاعدٌ فوق العرش فهو كافرٌ وإن زعم أنّه مسلم ...وسببه (أي الوقوع في الكفر) الجهلُ عن معرِفَةِ الأمرِ على ما هو عليه**". فمَن تأمَّلَ هذا الكلامَ عَلِم أنَّ الجاهِلَ في مِثلِ هذا لا يُعذَرُ.

وكذلك يَكفُرُ مَن اعتقَدَ أنّ الله جالسٌ على العرش، لأنّ الله قاهر العرش ومُسَيْطِرٌ عليه ولا يَحتاجُ إليه.

والقسم الثاني الأفعال: كالذي يسجُد لصنَمٍ أو يرمي المصحفَ أو ورقةً فيها اسمُ الله في نجاسةٍ عمدًا. فيجب احترامُ الأوراق التي فيها اسمُ الله ولا يجوز رميُها في مكانٍ مُستقذَر، ولو لم يقصد الاستخفافَ بما فيها.

وكذَلك يَكْفُرُ الّذي يُعِينُ شخصًا على قول أو فِعل الكُفر وذلك لقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [سورة المائدة آية 2]، كأَن يَدُلّ أو يأخذ كافرا إلى مكان ليفعل فيه الكفرَ أو يسألُه سؤالا مع علمه أنّه يجيب بقول الكُفْر.

كذلك يكفر من رضي أو استحسن الكفر من الغير وكذا تأخير من أراد الدّخول في الإسلام كأن اشترط عليه أن يغتسل قبل أمره بالنّطق بالشّهادتين. يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** ﴾ [سورة الزُّمر آية 39]، فهذا دليل على أنّ الرِّضاءَ بالكُفْر كفرٌ.

والقسم الثالث الأقوال: كالذي يَسُبُّ اللَّهَ تعالى أو ينسبُ له الولَدَ قولاً ولو لم يعتقد ذلك، وكالذي يَسُبُّ نبيًّا من الأنبياء كمحمّدٍ أو عيسى المسيح أو موسى أو آدم أو غيرهم، وكذلك الذي يَشتُمُ ملكًا كجبريل أو ميكائيل أو عزرائيل أو غيرهم ، وكالذي يقول: (اخلُق لي كذا كما خَلَقَكَ الله) وكالذي يقول: "إنّ الله حالٌّ في الأشياء داخلٌ فيها" وكذلك كلُّ كلامٍ معناه استخفاف بالله ظاهر في ذلك نوى المعنى أو لم ينوِ. قال إمام الحرمين عبد الملك الجُوَينِيّ أحد كبار العلماء: « **اتَّفَقَ الأصوليّون على أن من نَطَقَ بكلمةِ الردّة وزَعَمَ أنَّه أَضْمَرَ تَوْرِيَةً كُفِّرَ ظَاهِرًا وباطنًا** ». كذلك قَولُ بعضِ السفهاء: (صُم وصَلّ تركبك القِلّة) كفر، وكذا قول بعض الناس: (غدا نتدفأ في جهنم) ، أو قال: (أنا كافر) سواء كان مازحًا أو جادًا. واعلموا أن اللَّهَ واجبٌ تعظيمُهُ في حال الرضا وفي حال الغضب ويَحرُمُ الاستخفافُ به في الحالين، وعلى هذا أَجمَعَ المسلمون.

وقال الإمام النووي في كتابه روضة الطالبين: « **لو غضبَ رَجُلٌ عَلَى وَلَدِهِ أَو غُلاَمِهِ فَضَرَبَهُ ضَربًا شَدِيدًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَلستَ مُسلِمًا ؟ فَقَالَ: لاَ، مُتَعَمّدًا كفر** » أي مادام بإرادته ولو كان في حال الغضب.

وكذلك الذي يُنكِرُ الجَنَّةَ أو النَّار أو البعث أو الحساب في الآخرة، وكذلك الذي يقول إنَّ الجنة أمورٌ معنوية وليست حِسّية أو قال: النار فيها عذاب رُوحيٌّ وليس حسّيًا وقد نصّ العُلماءُ على أن من وَقَعَ في هذه الألفاظ فقد حَبِطَ عملُهُ إذا قالها بإرادته مختاراً عامداً غير مُكرَهٍ بالقتل ونحوه (ممّا يُؤدي إلى الموت) ولم يَكُن غائبَ العقل. ولم يَقُل العلماءُ إنه يُنظرُ إلى رضاه أو غضبه حين يتكلّم.

كذلك لا يجوز الاستهزاء بما حسّنه الشّرع ولا ذم اللغة العربية لأنّها لغة القرءان ولغة أهل الجنّة وأربعة أنبياء (فهي أفضل اللغات وأسهلها)، وهذا مخرج عن الإسلام. وليُعلم أنَّ أفضلَ الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ثم كل اسم فيه اسم من أسماء الله الحسنى ولا يجوز ذمّ هذه الأسماء ولا يجوز ذمّ أسماء الأنبياء كآدم وإبراهيم وعيسى ومحمد، ومن حيث العموم لا يجوز ذمّ ما استحسنه الشرع.

كذلك من مات على غير الإسلام لا يجوز القول اللهمّ اغفر له أو اللهمّ ارحمه لأنّ الله أخبر في القرءان العظيم أنّه لا يغفر للكافر بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء** ﴾ [سورة النساء آية 156] فمن كنت تسمعه في الدنيا يسبّ الله أو الأنبياء أو يستخفّ بالملائكة أو يعتقد أنّ الله جسم أو ضوء ثمّ بلغك أنّه مات على ذلك ليس لك أن تترحّم عليه.

وَقَالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: « **أكثرُ خطايا ابنِ أدَمَ مِنْ لِسَانِهِ** » رواهُ الطبراني.

وَالقَاعِدَةُ: أنَّ كُلَّ اعتقادٍ أوْ فِعْلٍ أوْ قَوْلٍ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْفَافٍ بِاللهِ أوْ كُتُبِهِ أوْ رُسُلِهِ أوْ مَلائِكَتِهِ أوْ شَعَائِرِهِ أوْ مَعَالِمِ دِينِهِ أوْ أحْكَامِهِ أوْ وَعْدِهِ أوْ وَعِيدِهِ كُفْرٌ فَلْيَحْذَرِ الإنْسانُ من ذلكَ جَهْدَهُ.

فائدةٌ: قَالَ العُلَمَاء: إنْكَارُ مَا عُلِمَ مِنَ الدّينِ بالضَّرُورَةِ كفرٌ، وَمَعْنَى كَوْنِ الأمْرِ مَعْلُومًا مِنَ الدّينِ بالضَّرُورَةِ أن يَكُونَ هذا الأمْرُ مَعْلُومًا بَيْنَ المسْلِمِينَ عُلَمَائِهِمْ وَعَوَامّهِمْ، لَيْسَ أمْرًا لا يَعْرِفُهُ إلا العُلَمَاءُ، وَذَلِكَ كوُجُوبِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَوُجُوبِ صومِ رَمَضَانَ وَحِلّ البَيْعِ وَالشّرَاءِ وَحُرْمَة شُرْبِ الخَمْرِ وَالسَّرِقَةِ، فإنّ هذه الأمور لا تخفى على المسلِمِ مهما كان جاهلاً.

وليُعلَم أنَّ مَنْ كَفَرَ لا يَرجِعُ إلى الإسلامِ إلا بالنُّطقِ بالشهادتين : **أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأشهد أنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله**، بعد تَركِهِ للكُفرِ، فلا يرجع الكافر إلى الإسلام بقول أستغفِرُ اللهَ بل يَزيده ذلك كفرًا، ولا تنفعه الشَّهادتان ما دام على كفرِهِ لم يرجع عنه. يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** ﴾ [سورة النّساء آية 168].

ومن فَكَّرَ في قوله تعالى: ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [سورة ق آية 18] وعَلِمَ أنَّ معناه أنّ كلّ ما يتكلّمُ بِهِ الإنسانُ يُسَجّلُهُ المَلَكَان سواءٌ كان مازحاً أو جادًّا أو في حالة الغضب، وكان حريصًا على إيمانه فإنَّهُ يُمْسِكُ لسانَهُ عمَّا لا يرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. ولا تَلْتَفِتُوا إلى بعضِ الجُهَّالِ الذين ليسَ لهم نَصيبٌ في العلم الذين يقولون: الجاهلُ معذور. فهؤلاء إنّما يَفتَحون بابًا للضلال واسعاً وإنما يرغّبون

النَّاس بالجهل، مخالفين بذلك قولَ الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ والذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الزمر آية 9] وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ** » (أي وكلّ مسلمة) رواه البيهقي. قَالَ الإمامُ أبو الحسن الأشعري رضي الله : « **لاَ يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي مُوجبَاتِ الكُفْرِ بِالْجَهْلِ** ».

والنصيحةُ التي تُوَجَّهُ إلى من وَقَعَ في شيءٍ من أمور الردَّة أن يُقَالَ له: **ارجع إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين . أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وأشهد أنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله .** لأنَّ قولَ أَستغفرُ الله لا ينفعه قبل أن يرجعَ إلى الإسلام، وعليه أن يتذكّر نعمةَ الله عليه الذي خَلَقَهُ وجَعَلَهُ مُتَكَلِّماً يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ، فلا يجوز له أن يستخِفّ به أو أن يَعترض عليه فإنَّه إن فعلَ ذلك فهو الخاسر ، والله لا يَضُرُّهُ أحدٌ ولا يَنفَعه أحدٌ فهو غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ.

وأخيرا نسألُ الله أن يثبّتَنَا على الحقَّ وأن يوفِّقنا لِحُضورِ مَجالِسِ العلم لتعلُّم علمِ الدّين من أفواه العارفين الثِّقات والعمل به ونشره. والحمد لله ربِّ العالمين.

أقوال العلماءِ في الرِّدَّة

قال الإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة 310 هـ) في كتابه تهذيب الآثار : « **إن من المسلمين من يَخرج من الإسلام من غير أن يقصِدَ الخروجَ منه** ». وقال البدر الرشيد الحنفي (ت 768هـ) في رسالة له في بيان الألفاظ الكفرية ص19: « **مَنْ كَفَرَ بلسَانِهِ طائِعا وقلبه على الإيمان إنّهُ كافر ولا ينفعه ما في قلبه**

ولا يَكون عند الله مؤمنًا لأنَّ الكافر إنما يعرف من المؤمن بما ينطق به فإنَ نَطقَ بالكُفْرِ كانَ كافرا عندَنا وعندَ اللهِ ».

وقال القاضي عياض اليحصبي المالكي (ت 544 هـ) في كتابه الشفا (2\214) الباب الأول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سبٌ أو نقصٌ من تعرض أو نصٍ: « **مَنْ سبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّضَ به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له... قال محمد بن سحنون أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المُنتَقِصَ له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له ... ومَنْ شكّ في كفره وعذابه كَفرَ** ».

وقال الشيخ ملا علي القاري الحنفي (ت1014 هـ) في شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، (ص274): « **ثم اعلم أنَّهُ إذا تكلّم بكلمة الكُفر عالِما بمعناها ولا يعتقِدُ معناها لكنْ صدَرتْ عنهُ من غير إكراهٍ بل مع طواعية في تأْديَتِه فإنّه يُحكَم عليه بالكُفرِ** ».

قال الشيخ أبو عبد الله محمد أحمد عِلَّيش المالكي مفتي الديار المصريّة الأسبق (1299 هـ) في (منح الجليل على مختصر العلاّمة خليل ج9/ 205) ما نصه : " **وسواء كفَر بقول صريح في الكفر كقوله كَفَرتُ بالله أو برسول الله أو بالقرآن أو الإله اثنان أو ثلاثة أو المسيح ابن الله أو العزير ابن الله أو بلفظ يقتظيه أي**

يستلزم اللفظ لكفر استلزاما بيِّنًا كجحد مشروعيّة شيء مجمع عليه معلوم من الدّين بالضّرورة فإنه يستلزم تكذيب القرآن أو الرسول وكاعتقاد جسميّة الله وتحيُّزه...أو بفعل يتضمَّنه أي يستلزم الفعلُ الكُفرَ استِلزاما بيّنًا كإلقاء أي رمي مصحف بشيء قذر ".

قال الحافظ الفقيه محمد بن محمد الحسيني الزبيدي (المتوفى سنة 1205 هـ) في كتابه إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم : " **وقد ألّف فيها (كلمات الردة) غير واحد من الأئمة من المذاهب الأربعة رسائل وأكثروا في أحكامها** ".

قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾.

قال رسول الله ﷺ : « **طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كُلِّ مُسْلِمٍ** » رواه البيهقي.

وقال: « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، إنما العلم بالتعلّم والفقه بالتفقُّهِ** »

أَهَمِّيّةُ تَعَلُّم عِلْمِ الدِّينِ

اللهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىءٌ

صِفَاتُ اللهِ الوَاجِب مَعْرِفَتُها

الإسْلامُ دِينُ جَمِيعِ الأَنْبِياءِ

بَيَانُ عِصْمَةِ الأَنبِيَاءِ

الإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

المَلاَئِكَةُ الكِرَامُ

اليَومُ الآخِرُ

كَيْفَ يُحَافِظُ المُسْلِمُ عَلَى إيمَانِهِ

أقوال العلماءِ في الرِّدَّة